المُيَسَّرُ

فِي عِلْمِ رَسْمِ المُصْحَفِ وَضَبْطِهِ

حُكْمُ هَذا الإِصْدارُ التَّحْكِيمَ العِلْمِيَّ المُتعارَفَ عَلَيْهِ

جَمِيعُ الحُقوقِ مَحفوظَةٌ

الطبعة الثانية

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

النَّاشِر

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

بمعهد الإمام الشاطبي

التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة

معهد الإمام الشاطبي

٥٢٠٦ غ م – حي الرحاب

وحدة رقم ١٢

جدة ٢٣٣٤٣ - ٦٩٩٠

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٢٠٢ – تحويلة: ١٠٥/١١٠

الهاتف المحمول: ٠٠٩٦٦٥٣٥٦٣٦٦٤٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٦٠٥٠٥

الموقع الإلكتروني: www.shatiby.com

البريد الإلكتروني: Drasat1@gmail.com

سلسلة المقررات الدراسية
(٦)

الميسر
في علم رسم المصحف وضبطه

تأليف
أ. د. غانم قدوري الحمد

راجعه
أ. د. عبد الهادي حميتو
د. أحمد بن أحمد شرشال
أ. د. أحمد خالد شكري
أ. د. ماجد زكي الجلاد

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية
(١٥)
بمعهد الإمام الشاطبي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحابتِهِ أجمعينَ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، **أَمَّا بَعْدُ:**

فقد طَلَبَ مني الإخوة في معهد الإمام الشاطبي بجدة مراجعة كتاب **(الميسر في علم رسم المصحف وضبطه)** لإخراجه في طبعة جديدة، واستدراك ما وقع فيه من هفوات طباعية أو علمية في طبعته الأولى، فسارعت إلى قراءته، وتدوين ما وقفتُ عليه مما يحتاج إلى إصلاح، وفي أثناء ذلك تَسَلَّمْتُ رسالة من أخي وصديقي الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري، أستاذ القراءات القرآنية في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، تتضمن قائمة فيها ما يَقْرُبُ من ستين ملاحظة تتعلق بالكتاب، منها ما يتعلق بمواضع تحتاج إلى إصلاح، ومنها وجهات نظر ومقترحات حول بعض الموضوعات، وهي حصيلة تدريسه الكتاب ومدارسته له مع عدد من طلابه، وقد أخذت بأكثرها في هذه الطبعة، لكن منهج الكتاب وهدفه لم يتسع لأمرين، لاحظت الدكتور أحمد ـ جزاه الله خيراً ـ يحرص عليهما في ملاحظاته، الأول: استقصاء كل وجوه الرسم القرآني، والثاني: الوقوف عند كل وجوه القراءات المرتبطة بالرسم، وهما أمران مُسْتَوْفَيَانِ في مصادر الرسم والقراءات القرآنية، لمن أراد الوقوف عليهما.

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن التغييرات التي حصلت في هذه الطبعة كانت طفيفة لم تتجاوز إصلاح خطأ طباعي، أو حذف كلمة هنا، أو زيادة كلمة هناك، ومن ثم فإن الكتاب في هذه الطبعة ظل كما هو في تبويبه ومادته،

ولم نجد ما يستدعي إجراء تعديلات واسعة فيه، والله تعالى ولي التوفيق.

وكانت سلسلة الكتب التعليمية التي أصدرها المعهد قد حازت على ثقة المتخصصين في علوم القرآن، من المعلمين والمتعلمين، والحمد لله، لأنها جمعت بين الرصانة العلمية وحسن الترتيب والتبويب، وسهولة العبارة وسلاستها، ولا شك في أن إعادة طبع أي كتاب يعني أن هناك حاجة إليه في الأوساط العلمية التي تهتم بموضوعه، وهو ما ينطبق على كتاب (الميسر في رسم المصحف وضبطه)، ويؤكد ذلك أن بعض المؤسسات التجارية في بيروت قامت بنشره، من غير إذن من المعهد، وهو وإن كان يصب في تحقيق الهدف الذي يسعى إليه المعهد، إلا أنه يظل من باب السرقة والمتاجرة بجهود الآخرين من غير وجه حق.

ويسرني، وأنا أكتب مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب، أن أتقدم بالشكر والتقدير للقائمين على معهد الإمام الشاطبي بجدة، جزاهم الله تعالى كل خير، ووفقهم لخدمة القرآن الكريم وعلومه المباركة، كما أشكر أخي وصديقي الدكتور أحمد خالد شكري الذي كان أحمد المحكمين للكتاب في طبعته الأولى، وزودني بملاحظاته التي أشرت إليها لترصين طبعته الثانية، وأذكر بالعرفان والتقدير أخي وصديقي الأستاذ عمار محمد الخطيب الذي راجع معي الكتاب في طبعته الأولى، جزاه الله تعالى كل خير.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]

أربيل ـ العراق
١/رجب/١٤٣٦هـ
٢٠/نيسان/٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمة

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحابتِهِ أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، **أمَّا بَعْدُ**:

فإنَّ المصحفَ الشريفَ يَضُمُّ كلامَ اللهِ تعالى المُنَزَّلَ على النبي محمد ﷺ إذ أمَرَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بكتابة القرآن الكريم، فَكَتَبَهُ كُتَّابُ الوَحْيِ مُفَرَّقاً في الرقاع، وأَمَرَ خليفتُهُ الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمعهِ في صحف منظمة، وصارت كلمة (القرآن) تدل على كلام الله تعالى الْمَتْلُوِّ بالألسنة المحفوظ في الصدور، وصارت كلمة (المُصْحَفِ) تدل على كلام الله تعالى المكتوب في الصُّحُفِ.

وحَرَصَ المسلمون على المحافظة على رسم كلمات القرآن في المصحف كما رسمها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في المصاحف التي أمرهم بنسخها الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه من الصحف التي جُمِعَ فيها القرآن في زمن أبي بكر الصديق، وعُرِفَتْ بالمصاحف العثمانية، نسبة إلى عثمان؛ لأنه هو الذي أمر بنسخها، وسُمِّي رسمها بالرسم العثماني.

وكان رسم المصاحف الأولى مُجرَّداً من نِقاط الإعجام وحركات الإعراب، شأنه في ذلك شأن ما كان يُكْتَبُ بالعربية في غير المصاحف، وامتاز رسم عدد من الكلمات في المصحف بزيادة حرف أو حذفه، أو إبداله، أو وصله أو فصله، واجتهد علماء اللغة العربية في تدارك ذلك في ما يَكْتُبُ الناس في غير المصحف، برسم الكلمة بحروف هجائها مبدوءاً بها وموقوفاً عليها، وباختراع علاماتٍ للحركات وتمييز الحروف المتشابهة في الرسم،

فظهر علم الإملاء الذي عُرِفَ في القرون الأولى بعلم الخط أو الهِجَاء.

ولم يستجب علماء القراءة وكُتَّابُ المصاحف للتطور الذي حصل في رسم الكلمات على يد علماء اللغة العربية، وحافظوا على رسم الكلمات في المصاحف على ما فيها من زيادة أو حذف أو إبدال أو وصل أو فصل، حرصاً منهم على بقاء المصحف على صورته الأولى رسماً وترتيباً، وقاموا بدراسة المصاحف العثمانية وما نُقِلَ منها من مصاحف، وألَّفُوا الرسائل والكتب في وصف رسم الكلمات في تلك المصاحف، فظهر علم رسم المصحف، الذي عُرِفَ في القرون الأولى بعلم هجاء المصاحف، وكُتِبَتْ مؤلفات أُخرى تُعْنَى بالنَّقْطِ والشَّكْلِ في المصاحف، فظهر علم النَّقْطِ والشَّكْلِ، الذي غلب عليه اسم علم الضبط في العصور المتأخرة.

وصار (علم رسم المصحف) موضع عناية كُتَّابِ المصاحف حتى يتمكنوا من المحافظة على صورة المصاحف الأولى في ما يكتبون من مصاحف جديدة، وموضع عناية علماء القراءة؛ لأن موافقة القراءة لرسم المصحف هي أحد شروط صحة القراءة، وكذلك كان رسم المصحف موضع اهتمام كُلِّ من أراد قراءة القرآن وتَعَلُّمِ تجويده، حتى يحترز من الخطأ في القراءة.

ولا يزال (علم رسم المصحف) يحظى بعناية الدارسين، ويحتل مكانة متميزة في مناهج التعليم في كليات القرآن الكريم ومعاهد الإقراء والمؤسسات التي تعنى بطباعة المصحف، وكَثُرَتِ المؤلفات في هذا العلم، قديمة وحديثة، مطولة ومختصرة، منثورة ومنظومة، استجابة لتلك العناية وذلك الاهتمام.

وكان من ضمن مناهج معهد الإمام الشاطبي تدريس مادة (رسم المصحف)، ورَغِبَتْ إدارة المعهد والقائمون على المناهج فيه تأليف كتاب في (علم رسم المصحف) في إطار خطة المعهد في تحديث المناهج وتيسيرها، وعهدت إليَّ بتأليف ذلك الكتاب، أسأل الله تعالى العون على إنجازه والتوفيق لِمَا ينفع الدارسين لهذا العلم الشريف في المعهد أو خارجه.

ويتألف الكتاب في خطته المعتمدة من ستة فصول، بعد تمهيد عن الكتابة العربية قبل تدوين القرآن الكريم.

يتحدث الفصل الأول عن تعريف علم رسم المصحف وفائدته، وبيان أصول رسم المصحف التاريخية، والأسس التي استند إليها الصحابة ﷺ في تدوين القرآن الكريم في المصاحف.

ويتضمن الفصل الثاني تعريفاً بمصادر دراسة رسم المصحف، من المصاحف القديمة المخطوطة، والمؤلفات المتخصصة.

ويعرض الفصل الثالث خصائص الرسم العثماني الخمسة: (الحذف، والزيادة، والبدل، والهمز، والفصل والوصل).

ويُعْنَى الفصل الرابع بتوجيه ظواهر الرسم المخالفة للنطق، ويتناول النظريات التي يتبناها الدارسون في تفسير ظواهر الرسم، والعلل الراجحة في توجيهها.

ويبحث الفصل الخامس في العلاقة بين القراءات والرسم.

ويُقَدِّم الفصل السادس تعريفاً بعلم الضبط في نشأته الأولى، وأهم العلامات المستعملة في ضبط المصاحف، مع دراسة تحليلية لنماذج مصورة من عدد من المصاحف المخطوطة، تمثل مراحل متعددة لتطور رسم المصحف وضبطه.

وألحقنا بمباحث الكتاب ضوابط منظومة من العقيلة للشاطبي، ومورد الظمآن للخراز، وكَشْفِ العَمَى والرَّيْنِ للشيخ محمد الجكني، وغيرها، ليطلع عليها الدارس، ويحفظ منها ما يراه مناسباً، وكذلك ألحقنا خلاصات لموضوعات المباحث، وأسئلة تقويمية، وتطبيقات عملية، ليستفيد منها المعلم والمتعلم، إن شاء الله تعالى.

وقد فَرَضَتِ الغايةُ التي أُلِّفَ من أجلها هذا الكتاب، وطبيعة المنهج الذي انبنى عليه، التركيز على الموضوعات الأساسية المتعلقة برسم المصحف، مع الأخذ بنظر الاعتبار الأمور الآتية:

أولاً: اعتماد الاختصار غير المخل في تناول الموضوعات، حتى لا يتضخم حجم الكتاب فيثقل على المتعلمين في هذه المرحلة، ويخرج عن الوقت المخصص له.

ثانياً: عدم الخوض في الجوانب التفصيلية والمسائل الخلافية في الرسم، إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك؛ لأن الخلاف في الرسم لا يكاد ينحصر[1]، وقد تكفلت بذلك مصادر الرسم الموسعة، خاصة شروح العقيلة للشاطبي، وشروح مورد الظمآن للخرَّاز، فإذا رغب الدارس بالوقوف على تلك الأمور فعليه أن يراجع المصادر المفصلة في علم الرسم.

ثالثاً: الاكتفاء بالأمثلة الدالة على ظاهرة معينة إذا كانت أمثلتها مما يطول ذكره، مثل مواضع حذف الألف، ومواضع رسم الألف ياء، وأمثلة رسم الهمزة، ومن احتاج إلى الوقوف على جميع أمثلة الظاهرة فعليه بالرجوع إلى كتب الرسم المفصلة.

وآمل أن يحقق هذا الكتاب الغاية من تأليفه المتمثلة في تعريف الدارس بأصول رسم المصحف، وبيان قواعده، وتفسير ظواهره، والوقوف على نماذج مصورة منه، خاصة بعد أن توفر لتأليف هذا الكتاب أهم المصادر التي تعنى بموضوعه، فقد طُبعت معظم مصادر الرسم القديمة، وأصبحت المصاحف الأمهات القديمة في متناول يد الدارسين بعد طباعة عدد منها مصورة عن أصولها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الأعمال الصالحة.

ولا بد لي من أن أذكر بالعرفان والشكر عمادة معهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة، وإدارة مركز الدراسات والمعلومات القرآنية في المعهد لرعايتهم هذه السلسلة من المؤلفات، وتبنيهم طباعتها، كما أخص بالشكر الأخ الأستاذ عمار محمد الخطيب الذي أسهم في مراجعة طباعة الكتاب وتصحيحه، جزاهم الله تعالى

(١) ينظر: محمد العاقب الجكني: رشف اللمى ص١٢٣.

كل خير، ووفقهم لخدمة القرآن الكريم وعلومه[١].

أسأل الله تعالى الإخلاص في القصد، والسداد في القول، والرشد في العمل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

تكريت
١٤٣١/٣/٢٨هـ
٢٠١٠/٣/١٤م
يوم الأحد

(١) أتقدم أيضاً بالشكر والعرفان بالفضل للأساتذة الذين انتدبهم المعهد لتقويم الكتاب في صورته الأولى، فقد أفدت كثيراً من ملاحظاتهم واستدراكاتهم، واطلعت على أسمائهم بعد انتهاء تحكيم الكتاب، وهم: الأستاذ الدكتور عبد الهادي حميتو، والأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري، والأستاذ الدكتور أحمد شرشال، والأستاذ الدكتور ماجد زكي الجلاد، جزاهم الله تعالى خير الجزاء.

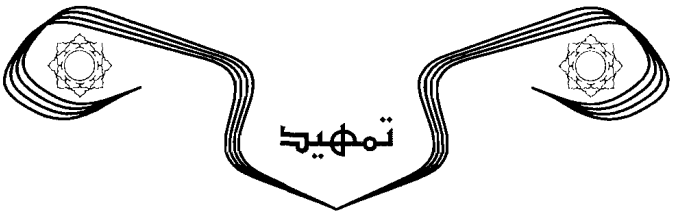

أصل الكتابة العربية وخصائصها

إنَّ دراسة رسم المصحف تقتضي الوقوف على أصل الكتابة التي دُوِّنَتْ بها المصاحف الأولى، وهو أمر حَرَصَ عليه عدد من علماء السلف المتقدمين، على نحو ما فعل عبد الله بن أبي داود في أول كتاب «المصاحف»[١]، وأبو عمرو الداني في أول كتاب «المقنع»[٢]، وتتحقق من تلك الدراسة فائدتان في الأقل، هما:

الفائدة الأُولى: الكشف عن أصل الكتابة التي دُوِّنَ بها القرآن الكريم، مُفَرَّقاً في الرقاع، ومجموعاً في الصحف، ومكتوباً في المصاحف.

والثانية: الوقوف على خصائص الكتابة التي اسْتُعْمِلَتْ في كتابة القرآن الكريم، لعل في ذلك ما يُفَسِّرُ بعض ظواهر الرسم التي نجدها في المصاحف العثمانية.

ويتضمن هذا التمهيد الحديث عن قضيتين: الأولى: أصل الكتابة العربية، والثانية: خصائص الكتابة العربية في عصر نسخ المصاحف الأولى.

أولاً: أصل الكتابة العربية:

اسْتَعْمَلَ العرب قبل الإسلام نوعين من الخط[٣]:

---

(١) كتاب المصاحف ١/ ١٥١ ـ ١٥٢.
(٢) المقنع ص٩، وينظر: المحكم (له) ص٢٥ ـ ٢٦.
(٣) ينظر: غانم قدوري الحمد: علم الكتابة العربية ص٣٠.

الأول: المُسْنَدُ، وهو خط أهل اليمن القديم، قال ابن منظور: «والمُسْنَدُ خَطٌّ لحمير مخالفٌ لِخَطِّنَا هذا، كانوا يكتبونه أيَّامَ مُلْكِهم»[١]، وتُرِكَ استعماله في اليمن قبل الإسلام، وبَقِيَتْ آثاره على المباني القديمة هناك[٢]، وانتقل هذا الخط إلى الحبشة، وهو أصل الكتابة المستعملة في أثيوبيا اليوم[٣]، وصَرَّحَ بعض الباحثين أنه: «من الصعب البت في الوقت الحاضر في موضوع أصل المسند»[٤].

وحسبنا هنا هذه الإشارة إلى المسند، ليكون القارئ على معرفة به، ولا يحتاج دارس رسم المصحف معرفة أكثر من ذلك عنه[٥].

الثاني: الخط العربي الشمالي الذي كان معروفاً في الحجاز في زمن البعثة النبوية المباركة، وهو الخط الذي اسْتُعْمِلَ في تدوين القرآن الكريم، وكُتِبَ به التراث العربي في الزمن القديم والحديث.

وهناك نظريتان في أصل الخط العربي الشمالي: قديمة وحديثة.

والنظرية القديمة التي وردت في المصادر اللغوية العربية القديمة تَنْسُبُ وَضْعَ الخط العربي إلى آدم عليه السلام، أو إلى النبي إسماعيل عليه السلام، أو إلى عدد من الرجال الذين تعددت أسماؤهم، فبعض المصادر سَمَّتْهُم: أبجد، وهَوَّز، وحطي... إلخ، وبعضها سَمَّتْهُم: مُرَامِرَ بنَ مُرَّة، وأسلمَ بن سِدْرَة،

---

(١) لسان العرب ٤/ ٢٠٦ (سند)، وينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/ ٥٣.

(٢) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٩٢، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (له) ٨/ ٢٠٢.

(٣) ينظر: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص١٠٦ و١٨٠، وديرينجر: الكتابة ص١١٥.

(٤) جواد علي: المفصل ٨/ ٢١٥.

(٥) قال ابن خلدون في المقدمة ص٤١٨: «وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لِمَا بلغت من الحضارة والترف، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة... ومن الحيرة لُقِّنَهُ أهل الطائف وقريش...»، ولا يؤيد الدارسون المحدثون نظرية ابن خلدون في أن المسند هو أصل الخط العربي الشمالي.

وعامرَ بن جَدَرَة[١].

والروايات في هذا الباب تَكْثُرُ وتَخْتَلِفُ، كما قال ابن فارس[٢]، وهي لا تستند إلى خبر صحيح منقول، ولا دليل عقلي مقبول[٣].

وتتلخص النظرية الحديثة في أن الخط العربي الشمالي مشتق من الخط النَّبَطِيِّ المنحدر عن الخط الآرامي[٤]. والأنباط الذين تطور على أيديهم الخط العربي قبائل عربية كانت تسكن شمالي الجزيرة العربية وبادية الشام الجنوبية، خالطوا الآراميين في الشام، وأخذوا عنهم حضارتهم وخطهم، وكانت لهم دولة عاصمتها سَلْع (البتراء)، زالت على أيدي الرومان سنة ١٠٦م[٥]، ولا تزال آثارها باقية في وادي موسى في الأردن.

وكانت لأهل الحجاز روابط تربطهم بأهل الشام، وكانت قوافل التجارة تسير إلى الشام، وليس بعيداً أن ينقلوا إلى الحجاز الخط العربي الذي تميز في تلك الأنحاء في القرون الأولى بعد الميلاد، لكن رواية أخرجها ابن أبي داود في كتاب المصاحف[٦]، ونقلها الداني في المقنع[٧]، تشير إلى انتقال الكتابة العربية من الأنبار والحيرة في غربي العراق إلى الحجاز، وهي «.. عن الشعبي، قال: سألت[٨] المهاجرين: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الحيرة، وسألنا أهل الحيرة: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا من أهل الأنبار».

---

(١) ينظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/ ١٥٦ ـ ١٥٧، وابن فارس: الصاحبي ص١٠، والسيوطي: المزهر ٢/ ٣٤١ ـ ٣٥٢.
(٢) الصاحبي ص١٠.
(٣) ينظر: غانم قدوري الحمد: رسم المصحف ٢٨ ـ ٣٦.
(٤) ينظر: خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص٣، وصلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص١٣، ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية السامية ص١٢٢، وديرينجر: الكتابة ص١٣٦.
(٥) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/ ٢٧١، والمفصل (له) ٣/ ٩، وإحسان عباس: تاريخ دولة الأنباط ص٣٧ ـ ٧٠.
(٦) كتاب المصاحف ١/ ١٥١.
(٧) المقنع ص٩.
(٨) في المقنع: (سألنا).

وسواء انتقلت الكتابة العربية من بلاد الشام إلى الحجاز مباشرة، أم مَرَّتْ بالأنبار والحيرة[١]، فإن عشرات من الرجال كانوا يكتبون في مدن الحجاز زمن البعثة النبوية المباركة، قال البلاذري: دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كُلُّهُم يَكْتُبُ، وفي المدينة عِدَّةٌ منهم يكتبون[٢]. ويؤكد ذلك أن النبيَّ ﷺ استعان بعدد من أولئك الكَتَبَة في تدوين القرآن الكريم على الرقاع، على نحو ما سنذكر في المباحث اللاحقة.

ثانياً: خصائص الكتابة العربية قبل تدوين القرآن الكريم:

يشمل الحديث عن خصائص الكتابة أمرين، الأول: بيان نوع الخط، والثاني: مدى وفاء الرموز المكتوبة في تمثيل الأصوات المنطوقة، وسوف أُرْجِئُ الحديث عن نوع الخط إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب، عند تحليل نماذج مصورة من مصاحف مخطوطة متنوعة، ومن ثم سوف يقتصر الحديث هنا على خصائص الكتابة العربية المتعلقة بتمثيل الرموز لأصوات اللغة.

ويعتمد الحديث عن خصائص أية كتابة على النصوص المدونة بها، وهناك عدد من النصوص المدونة بالكتابة العربية ترجع إلى ما قبل الإسلام، اعتمد عليها الدارسون في تتبع تطور الكتابة النبطية إلى العربية التي دُوِّن بها القرآن الكريم في عصر صدر الإسلام.

وسوف ندرس ثلاثة نقوش عربية قديمة لنستخلص منها خصائص الكتابة العربية القديمة، وهي نقشان من عصر ما قبل الإسلام: الأول نقش النمَّارة المؤرخ بسنة ٣٢٨م، والثاني نقش جبل أُسَيْس المؤرخ بسنة ٥٢٨م، والثالث نقش القاهرة المؤرخ بسنة ٣١هـ (= ٦٥١م).

١ ـ نقش النمَّارة:

هو شاهِدُ قَبْرِ ملك عربي اسمه امرؤ القيس بن عمرو، وعُرِفَ بنقش

(١) ينظر: غانم قدوري الحمد: رسم المصحف ص٥٠ ـ ٥٤.
(٢) فتوح البلدان ص٤٧٧ و٤٧٩.

النمَّارة نسبة إلى اسم الموضع الذي عُثِرَ على النقش بالقرب منه، في منطقة حوران في جنوب غرب سورية، وهو مؤرخ بسنة ٢٢٣ من تاريخ بُصْرَى الذي يبدأ بسنة ١٠٥م، وهي السنة التي سقطت فيها مدينة بصرى بأيدي الرومان، ويوافق ذلك سنة ٣٢٨ من التاريخ الميلادي[١]. وهذه صورة النقش:

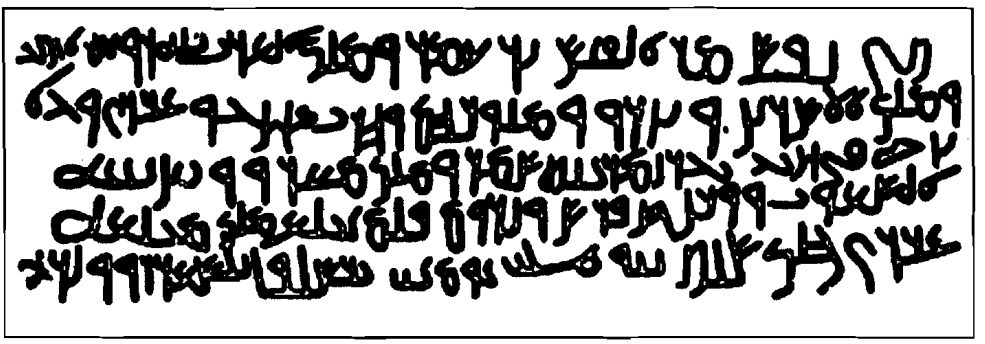

وهذه كلمات النقش مرسومة بحروف كتابتنا العربية، على نحو ما قرأه عدد من الدارسين، وإن اختلفوا بينهم في قراءة عدد من الكلمات أو تفسير معناها[٢]:

١ ـ تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج.

٢ ـ وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب محجو عكدي وجأ.

٣ ـ بزجي في حبج نجرن مدينت شمر وملك معدو ونزل بنيه.

٤ ـ الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

٥ ـ عكدي هلك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده.

---

(١) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٧.

(٢) ينظر: عن هذا النقش وقراءته:
خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص٧٠.
وجواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٨٩ و٧/ ٢٧٣، والمفصل (له) ٣/ ١٩١.
وصلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص٢٠.
ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص١٢٤.
وغانم قدوري الحمد: علم الكتابة العربية ص٤٤.

إنَّ هذا النقش له أهمية تاريخية ولغوية تتمثل بتاريخه المتقدم، وتتمثل بشكله الكتابي الذي يُعَدُّ نقطة التحول من الخط النبطي ذي الملامح الآرامية إلى الخط العربي الحجازي الذي ابتعد عن أصله وتميز بخصائص جديدة جعلت منه خطّاً مستقلاً، صار له بعد ذلك شأن عظيم، لكتابة القرآن الكريم به.

٢ ـ نقش جبل أُسَيْس:

عُثِرَ على هذا النقش في منطقة تبعد ١٠٥ كيلومترات جنوب شرق دمشق، عند جبل أُسَيْس، وهو مؤرخ بسنة ٤٢٣ بتاريخ بُصْرَى الذي يقابل سنة ٥٢٨م؛ أي: بعد تاريخ نقش النمَّارة بمئتي سنة، وهذه صورة النقش:

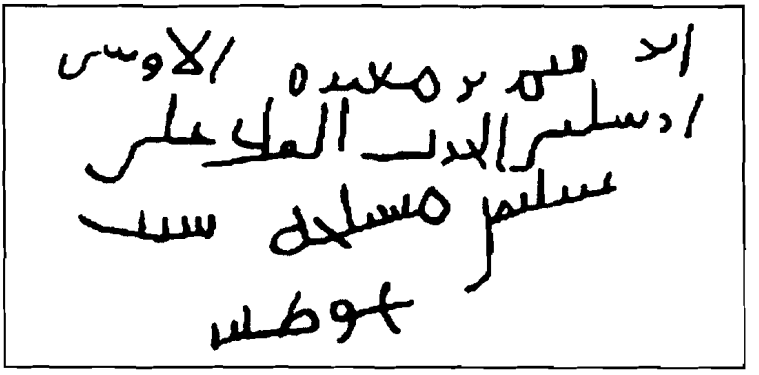

وهذا نص كلمات النقش بحروف كتابتنا اليوم:

١ ـ إبرهيم (إبراهيم) بن مغيرة الأوسي.

٢ ـ أرسلني الحرث (الحارث) الملك على.

٣ ـ سليمن (سليمان) مسلحة سنت.

٤ ـ ٤٢٣.

وقد يكون الحارث المذكور في النص هو الحارث بن جَبَلَة الذي انتصر على المنذر الثالث اللخمي في عام ٥٢٨هـ[١]، وقد يكون إبراهيم بن المغيرة الأوسي أحد أتباع الملك المحاربين، فالمَسْلَحَةُ تعني: «القوم الذين يحفظون

(١) سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي ص٥٣.

الثغور من العدو، وسُمُّوا مَسْلَحَةً لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المَسْلَحة، وهي كالثغر والمَرْقَبِ يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له»[١].

وكلمات هذا النقش مقروءة، وهو مكتوب بلغة عربية خالية من أي مظهر من مظاهر العُجْمَةِ، وهو على قلة كلماته ذو دلالة كبيرة تتمثل بوجود كتابة عربية مكتملة منذ ذلك التاريخ المبكر الذي يسبق عصر كتابة القرآن بمئة سنة تقريباً.

٣ ـ نقش القاهرة:

وهو شاهد قبر لرجل عربي مسلم دُفِنَ في مصر، وهو محفوظ في متحف الفن الإسلامي في القاهرة، ومؤرخ بسنة ٣١هـ، وأبعاده ٣٨سم × ٧١سم[٢]، وهذه صورة له:

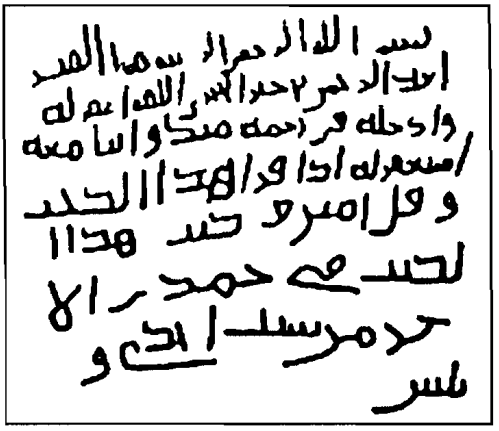

وهذه قراءة للنص بحروف كتابتنا اليوم، والكلمات الموضوعة بين قوسين مختلف في قراءتها[٣]:

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٣١٧ (سلح).

(٢) ينظر: إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص١٣٠، وسهيلة الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره ص١٠٨، وغانم قدوري الحمد: علم الكتابة العربية ص٤٨.

(٣) ينظر: خليل يحيى ناجي: أصل الخط العربي ص٩١، وصلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص٤١.

١ ـ بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا القبر.
٢ ـ لعبد الرحمٰن بن (خير) (الحجري) اللهم اغفر له.
٣ ـ وأدخله في رحمة منك (واننا) معه.
٤ ـ استغفر له إذا (قرأ) هذا الكتاب.
٥ ـ وقل آمين وكتب هذا ا.
٦ ـ لكتاب في جمادى الآ.
٧ ـ خر من سنت إحدى و.
٨ ـ ثلاثين.

وهذا النص يحمل خصائص الكتابة العربية التي تظهر في نقوش العصر الجاهلي، وإن كانت معانيه إسلامية محضة، وهو يرجع إلى الحقبة التي نُسِخَت فيها المصاحف في خلافة عثمان بن عفان ﷺ.

ويمكن أن نستخلص من خلال النظر في النقوش الثلاثة السابقة أهم خصائص الكتابة العربية في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، وتتمثل في ما يأتي:

١ ـ اتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار.

٢ ـ اتصال حروف الكلمة الواحدة، إلا ما تعذر اتصاله من حروف العربية الستة، وهي: الراء والزاي والدال والذال والواو والألف.

وكانت الكتابة النبطية في مراحلها الأُولى تُكْتَبُ بحروف منفصلة، ثم مالت نحو الاتصال في الكلمة الواحدة، حتى استقرت على الصورة التي نجدها في الكتابة العربية القديمة، وكان من نتائج ذلك التحول أمران[1]:

أ ـ صار لعدد من الحروف أكثر من شكل بحسب موقعه من الكلمة.

ب ـ فَقَدَ عدد من الحروف أشكالها المتميزة، وأخذت تختلط بحروف أخرى، وصار رمز واحد يدل على صوتين، مثل الدال والراء والسين وغيرها،

(١) ينظر: غانم قدوري الحمد: رسم المصحف ص٧٣.

واستدعى ذلك اختراع نقاط الإعجام في حقبة لاحقة، إذ لم تكن هذه العلامات المُمَيِّزَة موجودة في الكتابة العربية قبل الإسلام.

٣ ـ لم تكن في الكتابة علامات للحركات، وقد اخترع العلماء تلك العلامات في حقبة لاحقة، بعد تدوين القرآن الكريم بهذه الكتابة.

٤ ـ حُذِفَتِ الألف في وسط الكلمات، كما يظهر ذلك في عدد من كلمات نقش النمارة، ومن (إبراهيم، والحارث، وسليمان) في نقش جبل أُسيس، ومن (الرحمٰن، وهذا، والكتاب، وجمادى، وثلاثين)، في نقش القاهرة، أما في آخر الكلمات فالألف ثابتة في الرسم، كما في كلمة (هذا وإننا وإذا)، في نقش القاهرة.

٥ ـ رُسِمَتِ الألف ياء، كما يبدو ذلك في كلمة (على) في نقش جبل أُسيس، وفي كلمة (جمادى وإحدى) في نقش القاهرة.

٦ ـ جاءت تاء التأنيث مرسومة هاء في كلمة (مغيرة، ومسلحة) في نقش جبل أُسيس، وفي كلمة (رحمة) في نقش القاهرة، في حين جاءت كلمة (سنة) مرسومة بالتاء المبسوطة في النقشين.

٧ ـ جاءت حروف عدد من الكلمات موزعة على سطرين في نقش القاهرة، كما في كلمة (الكتاب، والآخر).

٨ ـ جاء عدد من الأعلام في نقش النمارة مرسوماً بواو في آخره، مثل (عمرو، ونزرو، ومعدو)، وكان ذلك يشكل ظاهرة شائعة في الكتابة النبطية، إلا إنها اختفت من الكتابة العربية، إلا في كلمة (عمرو)[١].

وظهر أكثر هذه الخصائص في الكتابة العربية التي استعملت في تدوين القرآن، في ما صار يعرف بالرسم العثماني، وعلى نحو ما سيرد ذلك مفصلاً في هذا الكتاب، لكن يمكن تأكيد ذلك من خلال النظر في هذه الصحيفة من مصحف طشقند:

---

(١) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/ ٢٩٩.

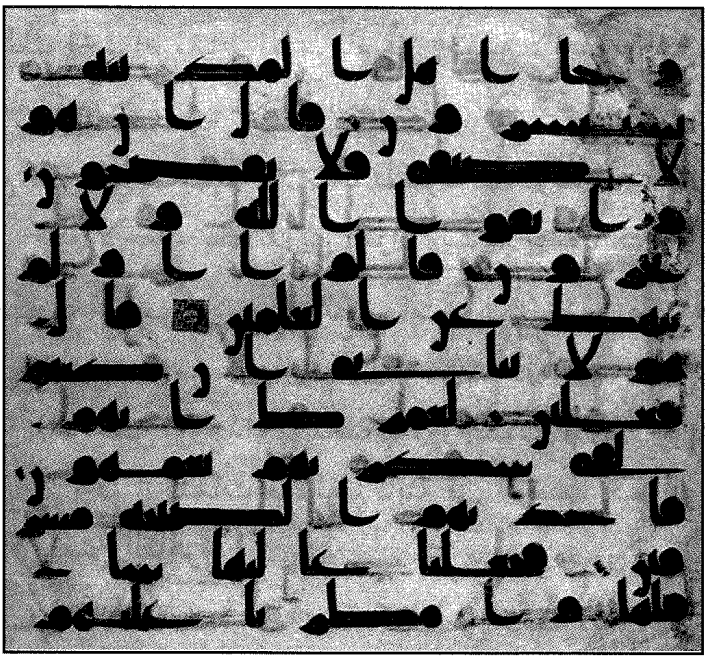

من سورة الحجر الآية ٦٧ ــ ٧٤

ويمكن أن نلاحظ في هذه الصفحة عدداً من الظواهر الكتابية التي لاحظناها في النقوش السابقة، ومنها[١]:

١ ـ خُلُوُّ أكثر الحروف من نقاط الإعجام، ومن علامات الحركات.

٢ ـ حذف الألف المتوسطة من عدد من الكلمات، مثل (العلمين، وفعلين).

٣ ـ توزيع حروف عدد من الكلمات على سطرين، كما في كلمة (مشر/قين، وسا/فلها).

٤ ـ هناك ظواهر كتابية أُخرى في الصفحة سوف نعود للحديث عنها تفصيلاً في مباحث هذا الكتاب.

والحقيقة التي يلزم التأكيد عليها هنا هي أن القرآن الكريم كُتِبَ في الرقاع، وخُطَّ في الصحف والمصاحف، بالكتابة العربية التي كانت سائدة في عصر صدر الإسلام، كما تدل على ذلك الموازنة بين نقوش تلك الحقبة وخصائص الكتابة التي رُسِمَ بها المصحف الشريف.

---

(١) ينظر: غانم قدوري الحمد: موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة ص١٩٢ ـ ١٩٧ (ضمن كتاب أبحاث في علوم القرآن).

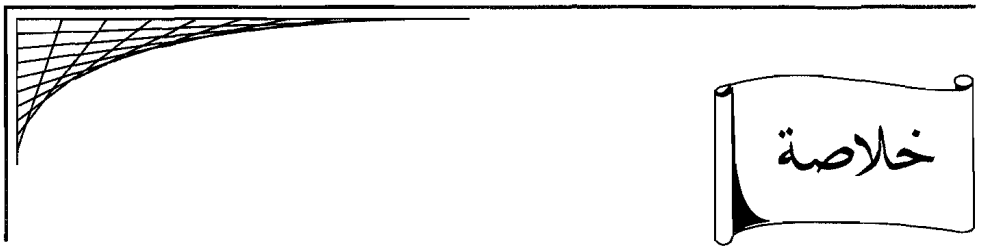

خلاصة

١ إنَّ الوقوف على أصل الكتابة العربية التي كُتِبَتْ بها المصاحف العثمانية مفيد في دراسة الرسم المصحفي، وتفسير ظواهره.

٢ عَرَفَ العرب قبل الإسلام نوعين من الخط، الأول: المُسْنَد (أو الخط العربي الجنوبي)، وهو خط أهل اليمن القديم، والثاني: الخط الحجازي (أو العربي الشمالي) الذي دُوِّنَ به القرآن الكريم.

٣ تعددت آراء المؤرخين في أصل الخط الحجازي، والراجح عند الدارسين المحدثين أنه منحدر عن الخط النبطي، المتفرع عن الخط الآرامي.

٤ يتميز الخط العربي الشمالي، كما يظهر في عدد من النقوش القديمة، بالخصائص الآتية:

أ ـ تجرده من علامات الحركات.

ب ـ تشابه عدد من الحروف في الصورة، وعدم وجود نِقاط تميزها.

ج ـ حذف حروف المد الثلاثة في كثير من الكلمات، خاصة الألف.

د ـ رسم الألف ياء في كثير من الكلمات.

هـ ـ رسم تاء التأنيث هاء في مواضع وتاء في مواضع أخرى.

و ـ تَوَزُّع حروف الكلمة الواحدة في آخر السطر وأول السطر التالي في حالات كثيرة.

ز ـ زيادة الواو في آخر أسماء الأعلام، كما في كلمة (عمرو).

٥ انعكس كثير من خصائص الكتابة العربية القديمة على رسم المصحف.